

Forms of Folklore south Algeria Hoggar Touareg as a sample

Benramdane Fairouz¹

¹Yahia Fares University of Medea (Algeria), benramdane.fairouz@univ-medea.dz

Received: 05/2023, Published: 05/2023

Abstract:

This paper deals with the folklore South Algeria and its forms of expression used there, considered as cultural expressions and social practices common to a large group of individuals. The features of folklore are manifested through customs, traditions, values, arts, crafts, skills, and various popular knowledge produced by society, and formulated through its long experiences. This knowledge is used among them in a spontaneous manner, and they adhere to it in their behavior and dealings as Distinctive cultural patterns that link the present with the past, and link the individual to his community.

Key words: Popular expressions, southern Algeria, customs and traditions, Hoggar Tuareg.

أشكال التراث الشعبي في الجنوب الجزائري

طوارق الهقار أنموذجا

فيروز بن رمضان¹

¹جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، benramdane.fairouz@univ-medea.dz

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع التراث الشعبي في الجنوب الجزائري وأشكاله التعبيرية المتداولة هناك، باعتباره تعابير ثقافية وأفعالا اجتماعية تشترك بين فئة كبيرة من الأفراد، حيث تتجلى ملامح التراث الشعبي من خلال العادات والتقاليد والقيم والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التي أنتجها المجتمع، وصاغها عبر تجاربه وخبراته الطويلة التي يتداولها الأفراد في المجتمع، وتُستعمل فيما بينهم بطريقة عفوية، ويلتزمون بها في سلوكهم وتعاملاتهم باعتبارها أنماطا ثقافية مميزة، تصل الحاضر بالماضي، وتربط الفرد بالجماعة وتشده إليها.

الكلمات المفتاحية: التعابير الشعبية، الجنوب الجزائري، العادات والتقاليد، طوارق الهقار.

مقدمة:

يتميز المجتمع الجزائري بأبعاد متعددة من حيث أنه بلد شاسع وغني بميراثه الثقافي المادي واللامادي في آن واحد، والمنتشر في ربوع التراب الوطني بمختلف تعابيره وأشكاله التقليدية والشعبية، فالتراث الشعبي هو سجل حافل بالمواقف والخبرات والتجارب التي مرت على أفراد المجتمع، فتكيف معها وسن لها قوانين تضبطها وطقوس لتذكّرها وممارستها، وهذا عبر تاريخ استقرارهم الممتد لأزمنة طويلة، لتعبر عن كل مجتمع وكل فرقة وطائفة، فكان هذا التراث المتوارث عبر الأجيال والمكتوب خير دليل على ذلك، إذ أنّ

التعابير الثقافية التقليدية والشعبية تولد شعورا بالهوية والانتماء والاستمرار، من خلال مختلف الأشكال التعبيرية المتعلقة بالطقوس والعادات والتقاليد ومختلف النشاطات الاجتماعية الثقافية الخاصة بكل مجتمع من مجتمعات التراب الجزائري. والتراث الثقافي التقليدي والشعبي بمنطقة الهقار متعدد غزير، له مكانة راقية في أوساط المجتمع التارقي، ويظهر هذا بشكل جليّ في عاداته وتقاليده وممارساته الإجتماعية والدينية والاقتصادية التي يصعب التخلي عنها، فنجدها حاضرة في أفراحه وأفراحه ومناسباته اليومية والسنوية.

أولاً: تحديد ميدان البحث:

يُعدّ العمل الميداني من أصعب مراحل جمع ونقل ودراسة المادة الثقافية الشعبية لكونها مُشتتة في أذهان الناس وعبر أمصار عميقة يصعب التوغّل فيها. ونعني بالميدان المنطقة الجغرافية التي تسكنها مجموعة بشرية تُكوّن فيما بينها وحدة اجتماعية متماسكة منذ أمد بعيد، لها خصائصها الثقافية المحليّة، وتتكوّن هذه الخصائص بتأثير البيئة أو المنطقة الجغرافية، ولها نظامها الاجتماعي والقرابي المؤثر في سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم وبين غيرهم، ويتجلى ذلك في عاداتهم وتقاليدهم وحرفهم ومهاراتهم وشفوياتهم وشتى مظاهر حياتهم، وقبل الحديث عن بعض هذه التعابير الثقافية التقليدية والشعبية الخاصة بمنطقة الهقار، وجب علينا التعريف بالمنطقة، وإعطاء مفهوم عام للتراث المادي واللامادي.

01- الإطار المكاني والزمني والاجتماعي لمنطقة الهقار:

أ- جغرافيا:

إن أراضي الجزائر في الجنوب عبارة عن صحراء قاحلة وعرة جرداء، منها الرملية والحصوية والصخرية، وهذه الأخيرة هي تقريبا أرض الهقار، والتي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري، وهي التي ذكرها محمد السويدي نقلا عن ابن بطوطة قائلا: " وصلنا إلى بلاد الهقار، وهم طائفة من البربر المثلثون... وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان... وسرنا في بلاد الهقار شهرا، وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعراً".¹

فلكيا، تقع الهقار وسط الصحراء ما بين خطي طول 1° و 18° شرقا و خطي عرض 19° و 27° شمالا، وهي عبارة عن مرتفعات بركانية عالية قائمة اللون وصلبة، تبلغ مساحة أراضيها 480.000 كلم، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة 2000 كلم، يحدها من الشمال الغربي تديكلت و عين صالح، ومن الشمال الشرقي مرتفعات الطاسيلي ناجر وجانت، و من الغرب تنزروفت ومن الجنوب عين قزام.²

مناخها صحراوي جاف قليل الأمطار، حيث تتساقط مرة إلى مرتين كل عشر سنوات صيفا وخريفا، بنسبة تتراوح ما بين 20 إلى 30 ملم، مُحدثة فياضانات، اما صيفها فهو منعش مقارنة مع واحات عين صالح وتديكلت نظرا لوجود المرتفعات المعروفة باسم الأطاكور، والتي تعمل على جلب الرطوبة وتعديل الجو، وبها أعلى قمة جبلية تسمى تاهات والتي يصل ارتفاعها إلى 2918 م، ثم تليها قمة الأسكريم وقمة إيّلْمَن.³ وهذه المرتفعات صخورها بركانية، تنحدر منها أودية في اتجاهات مختلفة كوادي تمنغاست و وادي أغرغار، ومن سهولها نجد سهل أمدغور شمال الهقار.⁴

ب- تاريخيا:

¹ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سوسولوجية انثروبولوجية في التغيير الاجتماعي، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 75.

² Claude Blanguemon, Le Hoggar, Arthaud, Paris, 1955, p p 19-26

³ Henri Duveyrier, Les Touareg du Nord, Editeur Challamel Ainé, Paris, 1964, pp 39-41

⁴ Hneri Lhote. Les Touaregs du Hoggar, Edition Payot, Paris, 1955, pp 31-33

لقد عثر الباحثون من علماء الآثار على مجموعة من النقوش و الصخور وشواهد القبور منذ آلاف من السنين مكتوبة بالخط الجُمَيْرِي على صخور من ديار عاد و ثمود ومشهد و وادي ثقب، وهي قريبة الشبه جدا من نقوش الخط البربري الموجود بناحية الهقار⁵، وهو ما عبر عنه أيضا الدكتور عبد الرحمن الجبالي في قوله: "لقد أقبل البربر على اللغة الكنعانية الفينيقية، عندما وجدوا ما فيها من القرب من لغتهم و بسبب التواصل العرقي بينهم وبين الفينيقين"⁶.

كما تمكنت الباحثة الجزائرية مليكة حشيد من العثور على لوحات كتب عليها بالتيفيناغ في صحرائنا الكبرى*. وحسب الدكتور جميل حمداوي، فإن اللوحة الحاملة لحروف تيفيناغ هي أحد اللوحات المرافقة لعربات الحصان وهذا النوع من العربات ظهر في العصر ما بين ألف سنة قبل الميلاد و ألف و خمسمائة سنة قبل الميلاد الشيء الذي جعل غابرييل كامبس Gabriel Camps يرى بأن تيفيناغ لا يمكن أن يكون قد ظهر في وقت أقل قدما من ألف سنة قبل الميلاد (...). وأن الإلمام بأصله رغم كل المحاولات في تصنيفه يبقى شئ بعيد المنال⁷.

و من ثم، فإن تيفيناغ بمثابة كتابة قليلة الشهرة ولكنها قديمة لدرجة تستحق الاهتمام باعتبار أن تيفيناغ البدائي يكاد يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

ج-اجتماعيا:

لقد اهتم العلماء والرحالة الفرنسيون بمعرفة و دراسة النظام القبلي عند طوارق الهقار، خاصة وأنه يضم عناصر و أجناس و فئات سكانية مختلفة ومتباينة، من خلال نشاطاتهم المتنوعة، ومن بين هؤلاء الباحثين الفرنسيين نذكر فولي (FOLEY)، و برنار (BERNARD) و جرفان (GREVIN) و لهوت (LHOTE) و دوفيري (DUVEYRIER) و رين (RINN) و بسيل (BISSUEL) و بلانقيمون (BLANGUEMON) وغيرهم كثير، وقد اعتبروا ان الطوارق مجتمع طبقي يسوده النظام الإقطاعي، حيث تتوزع هذه الفئات حسب بنيات و تراتبية الهرم الاجتماعي في مجتمعهم.

يتوزع الطوارق " على خمسة من البلدان الأفريقية، وهي: الجزائر، ليبيا، مالي، النيجر، و بوركينا فاسو، و يقسمون إلى طوارق شماليين (طوارق الشمال)، و يقصد بهم المتواجدين ببلدان شمال أفريقيا، أي الجزائر وليبيا، و طوارق الجنوب المتواجدين في بلدان الساحل الإفريقي: النيجر و مالي و بوركينا فاسو"⁸، و بالمعنى الدقيق، هم متواجدون حاليا في مناطق متباعدة، وهذه المناطق ماهي إلا البقية الباقية من أوطان أوسع كان يسيطر عليها الطوارق، ولعل التفسير الأقرب إلى الواقع لهذا التوزيع حاليا، حينما أخذ الجذب سبيله إلى الجهات الصحراوية، أخذت بطون منهم في النزوح إلى الجنوب، ملتجئة إلى إقليم السفانا بالقرب من تمبوكتو وما يليها من مالي والنيجر⁹.

⁵ جميل حمداوي، مواطن الاتصال والانفصال بين اللغة الأمازيغية و اللغة العربية، ص 11.

⁶ عبد الرحمن الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ص ص: 141-30

* الباحثة هي مؤرخة وعالمة آثار أجرت فحوصات على تيفيناغ المعثور عليه، وتبين أنه يعود إلى ألف و خمسمائة سنة قبل الميلاد، وهو ما جعل البعض يرجح أن يكون تيفيناغ هو أقدم الكتابات الصوتية التي عرفها الإنسان، مقال عن: Les premiers Berbère، في موقع:

<http://www.depechedekabylie.com/cuture/5948-les-premiers-berberes-de-malika-hachid.html>

⁷ جميل حمداوي، مواطن الاتصال والانفصال بين اللغة الأمازيغية و اللغة العربية، ص 11.

⁸ مريم بوزيد سبابو، الجامعيون الطوارق، نحو تكريس المؤسسات التقليدية أو إصلاحها، مقال إلكتروني، ص 718، على الموقع:

<http://search.shamaa.org/PDF/41346/BouzeidSbaboAr41427.pdf>

⁹ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سوسيولوجية انتروبولوجية في التغيير الاجتماعي، ص 75.

الطوارق ثقافة ممتدة على أراض شاسعة، وهم قبائل شتى، تشكل عنصرا مهما في الأمة الأمازيغية التي تستوطن الصحراء الكبرى، في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو. وشرق تشاد، وجنوب غرب موريتانيا، وصولا إلى السودان، ويقول الباحث الجزائري مداني عامر: "الطوارق هم أولئك الذين وقع بشأنهم إجماع معظم مؤرخي الشمال الإفريقي بانهم منحدرين من سلالة الجذر الأمازيغي الذي سكن أسلافه منذ أحقاب طوال الوطن الممتد من صحراء ليبيا إلى المحيط الأطلس ومن البحر الأبيض المتوسط إلى حوض السينغال والنيجر، فتاريخهم عريق جدا في غضون السلالات البشرية".¹⁰

أ-التنظيم الاجتماعي عند طوارق الهقار:

في أعلى الهرم الاجتماعي التاريخي نجد:

- ايموهاغ: وهم السادة والنبلاء.
- إمغاد أو كيل أو أي: وهم طبقة الأتباع.
- تماق إينسلمن: وهم الطبقة الأشراف المرابطين.
- إيتاضن: وهم طبقة الحرفيين.
- الحراطين، وهم طبقة المزارعين والفلاحين.
- إكلان: وهم طبقة العبيد.¹¹

وتحظى المرأة التارقية بمكانة خاصة في المجتمع، لأن مجتمعهم حسب الباحثين في علم الاجتماع، هو مجتمع أموسي، " إذ تتأسس القبائل والجماعات على أصول النساء منذ الولادة التاريخية، إلى الولادة البيولوجية، فيولي المجتمع أهمية للبطن عوض الظهر، أي للقرابة الرحمية على قرابة العصب، والمثل السائد في هذه المجتمعات، هو أن البطن هي التي تصبغ المولود، أي تعطيه هويته الأولى"¹²، وجميع الطوارق مسلمون يتبعون المذهب السني المالكي¹³

ب- التنظيم الجغرافي عند طوارق الهقار:

أما جغرافيا، فينقسمون إلى ثلاثة فروع حسب المناطق وهي:

- طوارق التاسيلي ناجر: ومواطنهم حاليا بجبال الطاسيلي بجانت وما جاورها.
- طوارق الهقار: ومواطنهم جبال الهقار بمدينة تمنراست وما جاورها.
- طوارق أدرار إيفوغاس: ومواطنهم جمهورية مالي.

ومجموع هذه المجموعات سكانيا لا يزيد عن 12 ألف نسمة كما ذكر محمد السويدي (إحصائيات سنة 1986)¹⁴، إذ لا توجد لدينا إحصائيات ذات مصداقية تعبر عن العدد الحقيقي للطوارق في البلدان الخمسة المذكورة آنفا، فهناك من يقدر عددهم بثلاث

¹⁰ التوارق - touareg - عائدون لنثور، التينبكي، منشورات منظمة تاماينوت، دت، دط ص: 18

¹¹ Henri Duveyrier, Les Touareg du Nord, p370.

وُنظَر: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، د. محمد السعيد القشاط، مركز أبحاث ودراسات شؤون الصحراء، ط2، 1989م، من ص: 65 إلى 72، حيث فصل القشاط في وصف تراتبية القبائل وبين فروع كل طبقة وموطن سكنتهم، كما وضع أبرز مهام وصفات كل طبقة.

¹² مريم بوزيد سبابو، الجامعيون الطوارق، نحو تكريس المؤسسات التقليدية أو إصلاحها، مقال إلكتروني، ص 720، على الموقع:

<http://search.shamaa.org/PDF/41346/BouzeidSbaboAr41427.pdf>

¹³ إبراهيم العيد بشي، تاسيلي ناجر، الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، منشورات الحبر، الجزء الرابع، الطبعة 01، الجزائر، 2009، ص ص 79-90 بتصرف.

¹⁴ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سوسيولوجية انتروبولوجية في التغيير الاجتماعي، ص 76.

ملايين و خمسمائة ألف نسمة، يشكل طوارق النيجر و مالي غالبيتهم (85 %)، فقد بلغ عدد طوارق منطقة الأزر حوالي 54494 نسمة، وبلغ الذكور منهم 28844 نسمة، بينما بلغ عدد الإناث 25650 نسمة (إحصائيات 2008)¹⁵.

والطوارق عبارة عن مجموعات قبلية كبيرة، و يمكن تقسيمهم جغرافيا إلى مجموعتين رئيسيتين تقطنان المنطقة من خط الطول 3° إلى 9°، وخط العرض 14° إلى 27° بالصحراء الكبرى، وهما:

- طوارق الصحراء: الموجودون في الجنوب الجزائري ومنطقة فزان بليبيا، و أهم قبائلهم:

• الهقار أو كل كيل هقار ، و كيل أزر في صحراء الجزائر، وبالتحديد بمنطقة جبال الهقار، ثم إيمنغاسن ، و أوراغن، و كيل أزر في فزان، وسكان مدينة غدامس الليبية عند نقطة الحدود مع كل من تونس والجزائر.

- طوارق الساحل: وهم بالأساس قبائل:

• كيل أيير بصحراء تنيري

• كيل يلمدن بمنطقة غاوة بالنيجر.

• كيل إيترام و كيل أدرار من إقليم المتونة و كيل تدمكت في ضواحي تومبوكتو

• منعطف نهر النيجر بمالي.

وقبائل أخرى كثيرة مثل:

• كيل أنصار الأنصار، و كيل لغل، و كيل السوق التجار، و كيل غزاف وغيرها في منطقة أزواد و أدرار إيفوغاس بجمهورية مالي المسلمة.

وتتشارك هذه القبائل في الثقافة نفسها، وفي لغة التفيناغ نفسها التي كانت تكتب خصوصا في الجنوب منذ أقدم العصور بالحروف الفينيقية، وتعني كلمة " كيل " في اللهجة الطوارقية آل فلان أو بنو فلان¹⁶.

ثانيا: نسب الأمازيغ:

أ- التسمية:

إن كلمة "أمازيغ" هي مفرد و جمعها "إمازيغن"، و مؤنثه: "تمازغيت" و جمعها "تمازغيين". و يحمل هذا اللفظ في اللغة الأمازيغية معنى الإنسان الحر النبيل أو ابن البلد و صاحب الأرض، ونفس اللفظة نجدها في الكلمة التارقية "إيموهاغ"، والتي تعني الرجال النبلاء ومفردتها "أماهغ"¹⁷.

و الأمازيغ هم مجموعة من الشعوب الأهلية، كما عبر عنها عبد الرحمن الجيلالي بقوله: "هم مجموع سكان الشمال الأفريقي من حدود واحة سيوة المتاخمة للبلاد المصرية شرقا إلى ساحل البحر المحيط الأطلسي غربا بما فيه جزر الكناري و إلى الضفة وادي النيجر جنوبا"¹⁸، و هي المنطقة التي كان يطلق عليها الإغريق قديما باسم البربر وهم قبائل كثيرة و شعوب جمّة و طوائف متفرقة.

و اختلف المؤرخون في أصل تسمية البربر، إلا أنه من الثابت اليوم أنها كلمة إغريقية أطلقها اليونانيون على من لا ينتمي لحضارتهم المميزة للغة الإغريقية و الديانة اليونانية، ذلك نجد المؤرخ اليوناني هيرودوت يطلق و صف البربر أو البرابرة على الفرس و المصريين القدماء بالرغم من أنهم أعظم شعوب زمانهم. وكذلك أطلق الرومان لفظ البربر على الذين لا ينتمون لمنظومتهم الثقافية و

¹⁵ مريم بوزيد سبابو، الجامعيون الطوارق، نحو تكريس المؤسسات التقليدية أو إصلاحها، مقال إلكتروني، ص 719، على الموقع:

<http://search.shamaa.org/PDF/41346/BouzeidSbaboAr41427.pdf>

¹⁶ إبراهيم العيد بشي، تاسيلي ناجر، الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، ص 67 بتصرف.

¹⁷ العيد بودة، اللثام عند التوارق بين الواقع والأقاويل الأسطورية، مقال إلكتروني منشور بتاريخ 28 فبراير 2018، على الموقع:

[https://www.djanoub.com/ar/الواقع-والأقاويل](https://www.djanoub.com/ar/https://www.djanoub.com/ar/الواقع-والأقاويل)

¹⁸ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزء الأول، الجزائر، 2009، ص 65

الحضارية الإغريقية/ الرومانية. ولعل بقاء الشمال الإفريقي خاضعا للنفوذ الروماني إلى غاية الفتح الإسلامي قد يفسر بقاء اسم البربر لصيغا بشعوب المنطقة.

هذا ولقد اتصل الأمازيغ بالشعوب والإمبراطوريات القديمة، وسبب ذلك اتساع الرقعة الجغرافية.

ب- لغة الأمازيغ:

هي لغة شمال أفريقيا حسب معظم الباحثين، أي أنها إحدى اللغات الأفرو-آسيوية القديمة، وهذه اللغات الخمس هي: "اللغة المصرية القديمة و اللغة الكوشية و اللغة السامية و اللغة الأمازيغية و اللغة التشادية و هي عائلات لغوية تفرقت عنها كل اللغات واللهجات، كما عبر عنها الباحث سالم شاكور"¹⁹.

وهي كذلك لغة معيارية يتواصل بها الناس في ربوع شمال أفريقيا منذ عشرات الآلاف من السنين من واحة سيوة بمصر شرقا إلى جزر الكناري والمحيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى مشارف الغابة الاستوائية جنوبا.

ومن المعروف أنها لغة سكان شمال أفريقيا منذ ما لا يقل عن 5000 سنة كما دلت عليها مجموعة النقوش و الوثائق الأركيولوجية²⁰، "وقد انتعشت تداولها وكتابة في ليبيا و أفريقيا و نوميديا و موريطانيا القيصرية و موريطانيا الطنجية"²¹ و تقدر مساحتها بخمسة ملايين كلم²"²².

و تنقسم اللغة الأمازيغية على العموم إلى لهجات رئيسة ذكرها عبد الرحمن الجيلالي مفصلة في كتابه: تاريخ الجزائر العام، و قد حددها فيما يفوق الثلاثمائة لهجة، تندرج تحت جذمين عظيمين هما مادغيس* و برنس²³، إلا أننا نحتاج منها ما كان مختصرا و هذا الذي أحصاه الدكتور جميل حمداوي و أيضا الباحث محند أكلي حدادو، في ما يلي²⁴:

اللهجات الزناتية، و اللهجات المصمودية، و اللهجات الصنهاجية، و يمكن اختزالها في حوالي عشر لهجات كلها تنحدر من اللغة الأم و تختلف فقط في الجانب الصوتي و بعض الجوانب المعجمية، و أهمها:

• اللهجة التارقية: و هي اللغة الزناتية و يتحدث بها أمازيغ الصحراء الكبرى و تنتشر هذه اللهجة في شمال كل من مالي و النيجر و جنوب الجزائر و ليبيا و مناطق من تشاد و بوركينا فاسو.

• اللهجة الشلحية: و هي لغة مصمودة و لمطة و جزولة و تنتشر في الغرب الجزائري و المغرب.

• اللهجة القبائلية: و هي لغة كتامة المنتشرة في مناطق القبائل بالأطلس الساحلي الجزائري.

• اللهجة البربرية: و يسميها بعض السوسيين ب "تابرابريت"، و هي لغة صنهاجة و تنتشر في تونس و في بعض مناطق شرق الجزائر و بعض المناطق بالمغرب.

• اللهجة الريفية: و هي لغة كتامة المنتشرة في جبال الريف و الهضاب التي تليها جنوبا و في شرق المغرب.

• اللهجة النفوسية: و هي لغة نفوسة و تنتشر في جبال نفوسة بليبيا و شرق - جنوب تونس.

¹⁹. Salem chaker , Manuel de linguistique berbère , tome 2, syntaxe et diachronie. ENAG-Éditions, Alger, 1996, pp 07-09.

²⁰العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول و الهوية، التنوخي للنشر، الطبعة الأولى 2010، ص 10

²¹جميل حمداوي: الأمازيغية باعتبارها لغة الأم، مقال بجريدة المنعطف، الملحق الأمازيغي، المغرب، العدد 3243، ص 06

²²جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص: 107-113.

مادغيس و برنس هما من أبناء مازيغ بن حام بن نوح عليه السلام.*

²³عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص 74

²⁴جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص 107-113.

• اللهجة الغدامسية و هي لغة منطقة غدامس الموجودة بالجنوب الغربي بليبيا مع اللهجة الزواوية و هي لغة واحة زواوة بالقرب من جبال نفوسة بليبيا.

• اللهجة السوسية : و تنتشر في صحراء جنوب غرب مصر.

• اللهجة الشاوية: و تنتشر في جبال الأوراس بشمال شرق الجزائر.

• اللهجة المزابية: و هي اللهجة المنتشرة في وادي مزاب بالجبال الصحراوية الجزائرية.

و من المعلوم أن اللغة الأمازيغية قد اضمحلت في جزر الكناري بسبب الاستعمار الإسباني، رغم اعتزاز أهلها الأصليين "الغوانش Guanches" بأمازيغيتهم.

فاللهجات الزناتية تنتشر بشكل واسع في الجزائر وتونس و ليبيا كاللهجة القبائلية، و اللهجة الشاوية، و لهجة بني مزاب، و الشلحية بالجزائر، و اللهجة النفوسية، و اللهجة الغدامسية، و لهجة أوجلة، و لهجة سكنة بليبيا، أما في تونس فيمكن الحديث عن مجموعات ساقية و مجورة و سند و تامزرات و شنين و دويرات و جربة، و توجد بشكل قليل في المغرب²⁵.

أما اللهجات المصمودية فتوجد في الغرب الجزائري، لكنها بشكل كبير في المغرب الأقصى، كالأمازيغية، و الريفية، و الشلحية بغرب الجزائر و المغرب.

أما اللهجات الصنهاجية فتنتشر هنا و هناك في مناطق محددة في المغربين: الأوسط و الأقصى، و في المناطق الجنوبية المحاذية للصحراء كاللهجة التوارقية²⁶ ببلاد الطوارق المحاذية للجزائر و مالي و النيجر، و اللهجة السيوية في مصر، و توجد مجموعة زناتة في الغرب الجزائري و الحدود الموريطانية-السينيغالية²⁷.

كما توجد الأمازيغية خارج رقعتها الأصلية فنجدها بكثرة في "هولندا وفرنسا وبلجيكا و ألمانيا و إسبانيا و جزر الكناري الإسبانية التي يقطنها الغوانش Guanches الذين كانوا يتحدثون بالأمازيغية الكنارية قبل أن يقضي الاستعمار الإسباني على اللغة الأمازيغية فيها. و ما زال الغوانش Guanches يدافعون عن اللغة الأمازيغية و يسعون جادين إلى إحيائها وبعثها مرة أخرى"²⁸. و يظهر لنا جلياً ان اللغة الأمازيغية هي لغة أكدها جميع الباحثين القدامى و المحدثين، و كتبوا عنها.

ج- الطوارق و أصل تسميتهم وثقافتهم:

1- أصل الطوارق:

الطوارق هم قبائل رُحل ينحدرون من أصول أمازيغية في منطقة شمال أفريقيا، وقد استوطن الطوارق لمئات السنين منطقة الساحل، حيث تجوب قوافلهم التجارية منطقة الصحراء الكبرى بهدف الاتجار في التمور و العطور و التوابل و العبيد، و لهم ديانة

²⁵ جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص: 107-113، بتصرف.

²⁶ واللهجة التارقية هي الوحيدة من بين اللهجات الأمازيغية التي حافظت على جذور الأمازيغية التي أميتت، كما يفيد محمد شفيق في معجمه الأمازيغي، حيث يقول: "والواقع الملموس هو أن التارقية هي التي حافظت على الجذور أكثر من أي لهجة أخرى، وذلك بحكم عزلة الطوارق منذ قرون وقرون في جزيرتهم الجبلية الصحراوية، وبفضل ما احتفظت به لهجتهم من الجذور، يمكن المرء أن يُكَوِّن لنفسه تصورا واضحا تمام الوضوح لقواعد الاشتقاق الأمازيغي، ويمكنه بالتالي أن يَرُدُّ الكلمات إلى أصولها وأن يتبين المعاني التي وضعت لها. المعجم العربي الأمازيغي، محمد شفيق، أكاديمية المملكة المغربية، ج1، ص: 09

ويتحدث الطوارق اللهجة التارقية بلهجاتها الثلاث: تماحق، و تماشق، و تماهق : حيث تختلف هذه اللهجات باختلاف مواطن الطوارق؛ فطوارق ليبيا و الجزائر فتسمى لهجتهم: تماهق، أما طوارق مالي فينطقون: تماشق، و تسمى لهجة طوارق نيجر: تماحق.

²⁷ جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص: 107-113، بتصرف

²⁸ المرجع نفسه، ص 112 بتصرف

واحدة ألا وهي الإسلام. ويُعرف الطوارق باسم رجال الصحراء الزرق، وذلك بسبب ملابسهم ذات اللون النيلي وعمائمهم التي يستخدمونها لتغطية أفواههم.²⁹

ينتشر الطوارق في الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية، مع موريتانيا إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال التشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر.

كما تنتشر مجموعات منهم "ببوركينا فاسو ونيجيريا، ونستطيع أن نقول إن وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات، إلى تمنغست بالجزائر وجات و تيمياوين و برج باجي محتار على الحدود مع مالي، إلى تينبكتو بمالي و إلى طاوه بالنيجر، و إنقيقي على بحيرة تشاد، و أبشه في شرق التشاد، تتناثر قبائل الطوارق في هذه الصحراء و تتفاوت بين الكثرة والقلّة حسب تواجدها، يجمعها الزي شبه الموحد: القميص الفضفاض، والسروال الواسع، والحذاء العريض المصنوع من جلد البعير، والعمامة الكبيرة ذات اللثام الضيق، حتى أصبح هذا اللثام علما على الطوارق فأسماهم العرب المثلثون"³⁰.

يغلب على الرجل التارقي وضع لثام يبلغ طوله أحيانا أربعة أو خمسة أمتار. ويلزم اللثام الرجل التارقي في الحل والترحال ويلفه بإحكام على جميع وجهه حتى لا يظهر سوى العينين. ولا يرفع الرجل التارقي لثامه ولو عند تناول الطعام، وغالبا ما كان من القماش الأسود.

ويشارك الطوارق في وضع اللثام بعض المجموعات الصحراوية مثل قبائل صنهاجة الذين عرفوا بالمثلثين. وتعددت تفسيرات تمسكهم باللثام، فمنها الحياء الغالب على تلك الشعوب.

ولعل للعامل البيئي دورا حاسما في غلبة اللثام على هذه الشعوب الصحراوية، فالعواصف الرملية والحرارة المرتفعة في الصيف والبرد القارس في الشتاء تتطلب غطاء يقي رأس الإنسان الصحراوي.³¹

ولم يكن هذا موطن الطوارق الأصلي، فلقد تزحج الطوارق من الشمال إلى الجنوب موغلين في الصحراء، إما هربا من الجيوش التي كانت تهاجم الشمال كالرومان والوندال والبرتغال والإسبان والفرنسيون، وذلك هروبا بحريتهم، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: " هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدها في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فاصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران، واستئناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا في ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، و عفا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم "³²

ويقول ابن خلدون نفسه في المصدر نفسه عن صنهاجة التي ينسب إليها الطوارق: " ولا خلاف بين نسبة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسبة العرب خلافا والمشهور أنهم من اليمينية، وأن أفريقش لما غزا أفريقية أنزلهم بها"³³.

ب-تسميتهم بالطوارق:

²⁹ إبراهيم العيد بشي، تاسيلي ناجر، الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي قديما وحديثا، منشورات الحبر، الجزء الرابع، الطبعة 01، الجزائر، 2009، ص66.

³⁰ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، الطبعة الثانية، 1989، نسخة الكترونية ص17.

³¹ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 65.

³² ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، الجزء السادس، ص 371.

³³ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 20.

اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم، ولما غاب عنهم مصدر التسمية، بدأوا يتكهنون، فمن قائل أن سبب تسميتهم بالتوارك لأنهم تركوا طريق الهداية، ومن قائل سمو بالطوارق نسبة إلى طروقهم الصحراء، و توغلهم فيها، ومن قائل أن سبب التسمية هو انتسابهم إلى طارق بن زياد، إلى غير ذلك من التكهنات والاقتراب بالتفسير من مصدر الاسم ومشتقاته. وهناك من يُزجج تسميتهم بالتوارق إلى انتسابهم إلى طارق بن زياد أو إلى جيشه، أما التينيكتي فيرى أن أصل التسمية هو توارك نسبة إلى اسم المنطقة التي تسكن بالقرب منها قبائل المثلثين، القريبة من العواصم المغربية في الشمال، وهو وادي ورغة جنوب مراكش تاركا targa، وجمعها توارك، وتاركا تعني الأرض الخصبة المسقية، وهي معروفة عند جميع الأمازيغيين، ولعل هذا ما يجعل الباحث مداني عامر يُزجج أصل التسمية إلى تأويل كلمة ترك فيقول بأنهم سمو بالتوارك لأنهم تركوا الوثنية إلى الإسلام، وهو الاسم حرفه تراجمة المشرق فقالوا (طوارق).³⁴

أما الأستاذ عبد الرحمن عبد اللطيف فيقول في تسميتهم بهذا الاسم: " كان الطوارق يعرفون من بين هذه القبائل في العصور الوسطى باسم (اسجلماسن)، ولما انتشر الإسلام واللغة العربية، ترجمت هذه الكلمة بمقابلها بالعربية (المثلثون)، فأصبحت مصطلحا يطلق على قبائل البربر في الصحراء الكبرى وذلك للزومهم عادة التلثم ووضع العمائم على رؤوسهم"³⁵.

لكن المتفق عليه أنهم شعب سكن الصحراء واستوطن قفارها، وتعتبر "التماهق" أو "التماشق" (التماشك) لغته الوطنية وحروف هذه اللغة تسمى التيفيناغ التي جعلت من الإيموهاغ أحد الشعوب الإفريقية التي تملك أبجدية نظيفة، يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح تقريبا، كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وإفريقيا الشمالية. ومما يميز المجتمع الأيموهاغي هو الزي شبه الموحد: القميص الفضفاض والسروال الواسع والحذاء العريض المصنوع من جلد البعير، والعمامة الكبيرة ذات اللثام الضيق حتى أصبح هذا اللثام علما على التوارق فأسماهم العرب المثلثون.³⁶

ج-ثقافة الطوارق:

من المعروف والبيدي أن الموروث الثقافي وليد البيئة التي ينشأ فيها، ويعتبر انعكاسا للواقع، لأنه يرتبط بالسمات النوعية لحياة المجتمع ونظامه الاجتماعي والاقتصادي وعاداته وتقاليده وشخصيته. وأهم ملمح من ملامح الثقافة التارقية، "تماشق"، وهي اللغة التي استعملوها ودرستعملونها لحد الساعة³⁷، و التيفيناغ هو الخط الخاص بتلك اللغة، وهو نفسه الخط الموصوف في كتاب الفهرست لابن النديم في فصل كلام السودان، وقد نسبه إلى الحبشة أي إثيوبيا، حيث أنه قال: "و أما الحبشة، فلهم قلم حروفه متصلة كحروف الجُمَيْرِي بيتدئ من الشمال إلى اليمين، يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط ينقطونها كالمثلث بين حروف الإسمين"³⁸. فخط التيفيناغ إذن ينتمي إلى مجموعة الخطوط البدائية العربية التي ينتمي إليها القلم الجُمَيْرِي وهو الخط العربي القديم، هذا وقد قدم ابن النديم على أن النقط استخدمت كفواصل بين الكلمات في خط الحبشة، لكنها في خط ثمود (خط عربي قديم) رمزت إلى حرف العين نقطة ونقطتين وثلاث نقط وأربع نقط حسب الاكتشاف الأثري وفي بعضها رمز إلى حرف العين عند ثمود بدائرة صغيرة كما في الخط السبئي.

³⁴ يُنظَر: التوارق touareg - عائدون لنشور، التينيكتي، منشورات منظمة تامانوت، دت، دط: ص: 20

³⁵ المرجع نفسه، ص 27.

³⁶ العيد بودة، اللثام عند التوارق بين الواقع والأقوال الأسطورية، مقال الكتروني منشور بتاريخ 28 فبراير 2018، على الموقع:

<https://www.djanoub.com/ar/للثام-عند-التوارق-بين-الواقع-والأقوال/>

³⁷ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 81

³⁸ المرجع نفسه، ص 29

وقد سميت بالتيفيناغ لاعتقادهم بأنها الحروف المنزلة من عند الاله، ولأنها تدل على معنى خطنا او كتابتنا أو اختراعنا³⁹، وهي كلمة مشتقة من فنيق أو فينيقيا، ويعني هذا أن اللغة الأمازيغية فرع من الأبجدية الفينيقية الكنعانية. هذا، وتتسم هذه اللغة "بالوحدة في بنائها النحوية و التركيبية و الصرفية، مع وجود اختلافات طفيفة دلالية و معجميا و فونولوجيا. وتمتاز كذلك بمرونة الاشتقاق، والنحت، و استيعابها لقانوني التركيب المزجي و التمزيع، و قدرتها على التواصل و النمو و التطور، و تأرجحها بين الشفوية و الكتابة. و تعد اللغة الأمازيغية كذلك من اللغات الحية التي مازالت تستعمل في شمال أفريقيا إلى يومنا هذا، رغم خضوع الأمازيغ لبرائن الاستعمار إلا أنها حافظت على كيانها الذاتي، و مقوماتها اللسانية و الثقافية و الحضارية. إضافة إلى اللغة، تميز المجتمع التارقي بمجموعة من الطقوس و العادات و التقاليد تنوعت بتنوع النظام القبلي الخاص بهذا المجتمع، و سنستعرض لاحقا بعضا من هذه التقاليد

ثالثا: مفهوم التراث :

يعتبر التراث في مفهومه العام، جميع ما يخص الإنسان العربي ماديا ومعنويا، بل هو جزء من مكوناته و نفسه، فيشمل بذلك « التقاليد، و العادات، و التجارب، و الخبرات، و الفنون...انه جزء أساسي من موقفه الاجتماعي و الإنساني و السياسي و التاريخي »⁴⁰. كما يمكن تحديده بالتراث الفكري المتمثل في الآثار المادية و المعنوية المكتوبة و الشفاهية الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة، فوصلت إلينا بأشخاصها.

إنّ التراث عموما هو الحارس الأمين على بقاء و استمرار هوية الأمم الحريضة على موروثها الشعبي من الضياع و الاندثار و الزوال، فهو ذاكرة الشعوب، و وعيها الشفوي المحكي، و المرأة التي تعكس بصدق الماضي بكل ما ينطوي عليه من تقاليد و عادات اجتماعية، و طقوس دينية و مشاعر فردية أو جماعية⁴¹، فهو: " شيء انتقل من شخص إلى آخر، و حُفظ إمّا عن طريق الذاكرة، أو بالممارسة أكثر مما حُفظ عن طريق السّجل المُدوّن "⁴².

أما الثقافة الشعبية، فهي "مجموع الرموز و أشكال التعبير الفنيّة و الجمالية و المعتقدات و التصورات و القيم و المعايير و التقنيات و الأعراف و التقاليد و الأنماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال، و يستمر وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة، و استمرار وظائفها القديمة، أو إسناد وظائف جديدة لها"⁴³.

و ينقسم التراث إلى قسمين، قسم مادي و قسم لا مادي:

فالتراث المادي هو كل التراث الملموس، و الذي يرى بالعين، ويشمل:

أ - كل ما شيده الأجداد من عمائر دينية كالمساجد و الكنائس و دور العلم و الأضرحة و الزوايا و العمائر الأخرى؛ كالقصور و المنازل و الأسواق و المراكز الصحية و الحمامات و غيرها.

ب - الحرف اليدوية و الصناعات التقليدية التي تتم صناعتها بالاعتماد على المواد الخام بالمنطقة: كالخزف و الفخار و النحاس و الزجاج، و الصباغة و الحياكة و التطريز و النسيج و الغزل و العيش و غيرها

ج- الأزياء الشعبية و الفولكلور و الموسيقى الشعبية و أدواتها التقليدية التي توارثتها الأجيال.

³⁹ جميل حمداوي، مواطن الاتصال و الانفصال بين اللغة الأمازيغية و اللغة العربية، مقال، جريدة العلم، المغرب، العدد 21033، السنة 2008، ص 10

⁴⁰ جيبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت، ط2، 1981، ص 63.

⁴¹ عمارة بلال أم سهام، شظايا النقد و الأدب، دراسات أدبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د س، ص 41.

⁴² فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو، دار المعارف بمصر، د س، ص 35.

⁴³ عبد الحميد بورايو، الموروث الشعبي و قضايا الوطن، الرابطة الولائية للفكر و الإبداع بولاية الوادي، 2006، ص 90.

اما التراث المعنوي فهو التراث الذي يخاطب العقل والفكر، وخاصة الآداب والفنون والموسيقى بأنواعها وألوانها المختلفة، وكذا الحكايات الشعبية والأسطورية والتاريخية التي ظلت ترددها الأجيال، وتمجد فيها القيم العليا وحب الوطن. وهو مجموع النتاج الفكري لأبناء الشعب الذي يعبر عن إبداعاتهم على مر العصور في مختلف المعارف، سواء أكان في العلوم الدينية والفقهية والفلسفية واللغة والأدب والشعر والتاريخ، وحتى التشريعات القضائية والحكايات والأمثال الشعبية والعادات والتقاليد والاعراف وغيرها من العلوم التي ارتبطت بشكل مباشر مع الإنسان وواقعه وحياته اليومية في المنطقة.

غير أن المتأمل لهذه المجالات يجد أنها "مجالات مشتركة بين العلوم الفلكلورية و العلوم الاجتماعية و الانثروبولوجية، التي بلورت لنفسها منهجا يتسم بقدر هائل من الدقة والوضوح، على تنوع فروعها، ولا سيما الانثروبولوجيا الثقافية، والانثروبولوجيا الاجتماعية، والانثروبولوجيا اللغوية، وغيرها، وكان من جراء ذلك أن حدث خلط بين هذه العلوم الإنسانية، أي بين علم الفلكلور و علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، ولم يعد محددًا او معروفا على نحو دقيق من أين يبدأ علم الفلكلور و أين تنتهي الانثروبولوجيا؟ ولا أين تبدأ الانثروبولوجيا و ينتهي علم الفلكلور؟ وكان من جزاء ذلك أن تداخلت الاختصاصات العلمية و الأكاديمية بين الباحث الفلكلوري و الباحث الانثروبولوجي باسم التراث⁴⁴.

وكمحاولة لإيجاد حل وسط يجمع بين الفلكلور و الانثروبولوجيا فإنه قد تقرر وضع اقتراح جديد لمفهوم للتراث على ضوء الفلكلور يجمع بين العلمين، مفاده: " أنه علم يختص بدراسة الثقافة الشعبية من منظور جمالي لا اجتماعي، وبذلك تتحدد مجالات هذا العلم في دراسة (جماليات الثقافة الشعبية، و الإبداعات الشعبية كالفنون القولية، و التشكيلية، والحركية، و الإيقاعية، ...) حيثما تتجلى في العادات والتقاليد الشعبية، والمعتقدات و المعارف الشعبية، وفي الآداب الشعبية، و في الثقافة المادية، و في الفنون الشعبية، وهي المجالات التي تتنازعها العلوم الفلكلورية و الانثروبولوجية المعنية بدراسة الثقافة الشعبية"⁴⁵.

فالعلمي بدراسة هذه المجالات من منظور انثروبولوجي هو معنى بدراسة ثقافة الجماعة الشعبية، بما في ذلك آدابها الشعبية وفنونها الإبداعية، فيفك الاشتباك بين ماهو فلكلور (جمالي فني) و ما هو انثروبولوجي (ثقافي اجتماعي).

رابعاً: أشكال التعابير الثقافية التقليدية والشعبية في منطقة البحار:

01- الأزياء والحلي التقليدية:

• الأزياء التقليدية التارقية:

تعتبر الأزياء من أهم ظواهر التعبير التقليدي الشعبي للمجتمعات، وهي تقوم على عنصر الإبداع و التقليد، وترتبط مع الحركات النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية وحتى السياسية، حيث تبنتها الطبقات الاجتماعية تماما كما تبنت غيرها من المجالات و الفنون التشكيلية الأخرى، باعتبارها وسيلة للتعبير عن مكونات النفس و عن علاقة الفرد بمجتمعه، عن طريق اختياره للملابس والألوان و القماش، زمن ثمت غدت أول مفتاح لشخصية الأمة و حضارتها.

ظلت الأزياء إلى جانب وظائفها في الستروالوقاية من حر الصيف و قر الشتاء، جزء لا يتجزأ من متطلبات الإنسان، لأنه مرتبط بالقيم الجمالية عند الشعوب والحضارات وحتى في المجتمعات البدائية أو كما يقال لإنسان ما قبل التاريخ. و قد تفرّد الإنسان التارقي بهذا المتطلب في شكله ولونه و طريقة لبسه، الأمر الذي جعله يستحوذ على إعجاب الجميع، لأنهم وفي الغالب يميلون في اختياراتهم للالوان، إلى اللون الترابي القريب من البيئة التي يسكنون بها، كالبنّي الفاتح الذي يرمز لرمال الصحراء، و الأزرق السماوي الذي يرمز للسماء والسكينة والهدوء، فالإنسان التارقي اختار أن يمثل الصحراء بزينة و يعبر عنها تعبيراً رمزياً يعكس حبه و درايته بالبيئة المحيطة به.

⁴⁴ محمد رجب النجار، من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي، مكتبة الدراسات الشعبية، الجزء الأول، القاهرة، 2003، ص 22.

⁴⁵ محمد رجب النجار، من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي، ص 28.

ولوضع الرجال للثام أسطورة تحكي سبب ذلك، حيث يقال: " أن قوما من لمتونة خرجوا للغزو، فخالقهم عدو آخر إلى مضارهم، ولم يكن بها غير الأطفال والنساء، فأشار الشيوخ على النساء بالتلثم وحمل السلام لإرهاب العدو، ففعلن، فظلم العدو رجلا مسلحين، فساق الأنعام من المراعي، وعدل عن غزو المضارب، حتى أدركه رجال القوم، فحاربوه وطرده، ومنذ ذلك العصر، اتخذت لمتونة للثام سنة للتبرك به، أي جعلوا للثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب، فلا يزيلونه ليلا أو نهاراً"⁴⁶.

يتنوع اللباس حسب الجنس والسن، ففي سن الطفولة سواء للبنات أو الولد، يُلبس لباس خاص بتلك الفترة، أما في مرحلة الشباب عند كلا الجنسين، فيلبس لباس خاص بفترة البلوغ، فأطفال الطوارق يلبسون لباسا يتكون من قميص واسع الطرفين، تشبه القطعة من القماش التي تكون مشقوقة في الوسط ومربوطة من الجانبين، حتى يدخل الولد رأسه في الشق ويخرج يديه من الجانبين الواسعين، وعندما يبلغ الشباب سن البلوغ، يلبسونه عمامة في حفل بهيج، ويستر وجهه بلثام كما يفعل الرجال الكبار، و يلبس قميصا واسعا يسمى بـ " الدرّاعة "، مطرزة الجيب، وأحيانا يلبس أكثر من قميص، يكون أحدهما أزرق مغمس بالنيلة التي تترك أثرا على جسم الإنسان، كما يلبس عمامتين أحدهما زرقاء والأخرى بيضاء، و يلبس سروالا فضفاضاً يتدلى حجره إلى الركبتين، ومداسا في قدميه مصنوع من جلد البعير، ويتحلى في الأغلب بخنجر أو سيف ينجر على الرمل، ويتفننون في تزيين مقابض سيوفهم وأغشيتها، وقد يرصع مقبض السيف بالفضة والذهب والأحجار الكريمة، وتنحت عليه أسماء مالكيه.

وقد يزين زنده بسوار من العاج أو المعدن حاد الطرف الخارجي، يستخدمه في الضغط على رقبة الخصم عند النزاع، أو الشجار والتماسك بالأيدي، ويعلق على صدره مجموعة من التعاويذ الجلدية والمعدنية تكون مربوطة بخيط، وتعلق على الرقبة، ومهمتها حفظه من العين والأرواح الشريرة⁴⁷.

في حين أن البنات تلبس عباءة محتشمة طويلة تنجر على الرمل، إلى أن تبلغ السابعة من العمر، فيلبسونها الملحفة التي تلبسها نساء الطوارق، والمسماة بـ " تيسغنست "، وتترك وجهها عاريا دون لثام، وتظفر شعرها بطريقة جميلة.

- مكونات لباس الرجل التارقي:

يتكون الزيّ الرجالي من :

- **أَكْرَبِي (السروال):** بلونين أبيض و أسود، ويكون فضفاضاً، ضيق عند الساقين، يحوي مزلاقاً على مستوى الخصر، يساعد على شده بواسطة حزام من الجلد مظفر يسمى " تَامَنْلَت " (تاملت نكري)، كما يرفق بزي الرجل حافظه من الجلد ، توضع تحت اللباس، ويحتفظ فيها بالأشياء الخاصة، تدعى " التابوك " أو " تَغَالِبَت " ، وهي حافظه مصنوعة من الجلد، مزخرفة بأصباغ خضراء و حمراء تُعلّق على الصدر.
- **إِرْسُوِي (العباءة أو الدرّاعة أو الضرّاعة):** وتصنع عادة من قماش يسمى " الخنت " أو " الطاري "، أو من قماش أبيض يدعى " مصمودي "، وتكون هذه العباءة فضفاضة حول الجانبين، وتحتوي على جيب كبير يخاط على الجهة اليسرى من الصدر.

⁴⁶ يوسف بن موسى، لثام التوارق، دراسة انثربولوجية و سوسولوجية، مقال منشور في العدد 41 من مجلة الثقافة الشعبية/ عادات وتقاليد، على

الموقع الإلكتروني: <https://www.folkculturebh.org/ar/index.php?issue=41&page=showarticle&id=777>

⁴⁷ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 78

⁴⁸ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلى ، من كلية الفنون / جامعة المدينة 2015/2016، أما بالنسبة لتصحيح الأسماء وشكلها وبعض المعلومات المتعلقة بالمجتمع التارقي، فقد تم الاستيعان ببعض المتخصصين في المجال، اذكر منهم:

- الدكتور بودة العيد، مواليد 1988 بـ إليزي، أستاذ بجامعة ورقلة، أعزب.
- السيد عبد العزيز قاسمي، مواليد 1980 بعين صالح/ تمنراست، صحفي بإذاعة تمنراست الجهوية، متزوج وأب لاربعة أطفال..+

• **تاقلموست نكورري:** وهي عباءة مشابهة تماما ل " إِرْسُوِي " ، غير أنها تصنع من قماش يُنسج في دول الساحل الإفريقي، وبالضبط في نيجيريا قرب بلدة كانو، ويتشكل هذا الثوب من شرائط صغيرة بعرض سنتيمتر واحد، و يُلبس عادة أيام الأفراح، و يوضع على الكتفين.

• **اللثام:** عرف اللثام منذ مئات السنين، فهو معيار من معايير الرجولة والشهامة والجمال، و هو من يحدد موقع الرجل التارقي الاجتماعي داخل قبيلته وعشيرته.

ينقسم اللثام إلى قطعتين اثنتين، تكون القطعة الأولى بيضاء من القطن، في حين تكون القطعة الثانية زرقاء من النيل، وتوضع العمامة بطريقة خاصة على حسب الطول و عرض معين لتغطية الرأس والفم تماما، بحيث لا تبقى سوى العينان، ويمكن تقسيم اللثام إلى نوعين هما:

• **الأشوو:** و هو قطعة من القماش تتكون من أشرطة تتكون من أشرطة عريضة، كل شريط يصل إلى حوالي 3 سم، أزرق اللون نيلى، يخاط بعضها إلى بعض، ويلبسه الأغنياء أثناء الاحتفالات والمناسبات الدينية لغلاء ثمنه قديما، عكس الوقت الحالي أين بات في متناول الجميع، ويتكون أثناء ارتدائه من 60 طية .

• **بوكار:** و هو الشاش الذي يُلبس في سائر الأيام العادية، و يصنع من الخنت ، و له لوان ابيض او أسود، و يُلف بطرق عديدة حسب رغبة الشخص.

- **تَكْوَارْت:** وهو عبارة عن قطعة قماش من الأشوو توضع فوق أرسوي الأبيض في المناسبات.

- **الراقي:** وهي عباءة مصنوعة من خامة كتانية راقية، تحتوي على جيب في جهة اليمين، ومطرزة في جهة اليسار بطرز هندسي مزخرف، وبألوان متنوعة منها: الأبيض والأحمر والأخضر، والأسود والبني على شكل شرائط ، يلبسها الملوك والأغنياء، كما تلبس في الأعراس والمناسبات. وهذا النوع من اللباس نادر جدا إلا ما كان متوارثا عن الأجداد.

- **تفورق:** (إِغْتَمَنُ) وهو عبارة عن حذاء من الجلد، يلبس في حالة السفر و يغطي الرجل بأكمله.

- **إِمْرَكْدَن:** و هو نوع من الأحذية، الجزء السفلي منه مصنوع من الجلد، أما العلوي فهو عبارة عن شرائط جلدية تثبت بها الرجل.

- **تَمْبَه:** وهي نعال بيضاء اللون، مزخرفة، تلبس في المناسبات والأعياد، تخص الرجل والمرأة على السواء.

- **مكونات لباس المرأة التارقية⁴⁹:**

يتكون زي المرأة من:

- **إِرْسُوِي:** و هو عبارة عن عباءة فضفاضة بأكمام صغيرة واسعة مصنوعة من أقمشة متنوعة كالزيبق والخنت والحير، و تبركات والصوف، و يلبس تحته فستان من قماش الشلاكي، وهذا النوع كان من لباس النبلاء.

- **أَخْبَائِي:** وهو عبارة عن عباءة فضفاضة عريضة زرقاء اللون ، أو خضراء، و أخرى بيضاء، عرضها حوالي 2.20 سم، و طولها 1.40 سم، وتخاط بعد تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء، ثم يُوصل بينهما بخيط، وهذا النوع من العباءات مخصص للمرأة المتزوجة فقط.

⁴⁹ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي ، من كلية الفنون / جامعة المدينة 2015/2016، أما بالنسبة لتصحيح الأسماء وشكلها وبعض المعلومات المتعلقة بالمجتمع التارقي، فقد تم الاستيعانة ببعض المتخصصين في المجال، اذكر منهم:

- الدكتور بودة العيد، مواليد 1988 ب إليزي، أستاذ بجامعة ورقلة، أعزب.

- السيد عبد العزيز قاسمي، مواليد 1980 بعين صالح/ تمنراست، إعلامي بإذاعة تمنراست الجهوية، متزوج و أب لاربعة أطفال.

- تِسْغَنْسْت: وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة غالبية الثمن يصل طولها إلى 15 متر، تلفها المرأة حول نفسها، أو جسدها بالكامل، بما في ذلك الرأس، تلبس في المناسبات والأعياد، أما في سائر الأيام فتؤخذ من أقمشة عادية معقولة السعر، وهو اللباس الأشهر والأكثر ظهوراً عند نساء الطوارق،

- آفز: وهو عبارة عن قماش أقل من تسغنست، يوضع فوق إرسوي، يغطي الرأس و جزء من الجسم، أسود اللون في الغالب، وتتغير خامة القماش حسب المناسبات، ك الطاري الذي يلبس في الأعياد والمناسبات الخاصة.

- أغرهي: وهي عبارة عن قطعة قماش يتراوح طولها المترين، مصنوعة من النيلة أو الطاري، وتلبس فوق الرأس في الاحتفالات أو الأعياد.

- تشريبت: وهي الوشاح (المنديل) الذي يلبس في سائر الأيام ويكون مصنوعاً من قماش يسمى الترفال أو الشلاكي.

- الحولي (أخاولين): وهو قطعة من قماش الكاري مطرز في الظهر.

- بازان: وهو عبارة عن عباءة طويلة وضيقة، مطرزة في الرقبة و الصدر واليدين والرجلين، مصنوعة من قماش يسمى "الديمي" وتلبس معها خراطة طويلة مصنوعة من قماش النيلة، وهو متوفر في جميع الألوان، إلا أن هذه العباءة تكون في الأزرق أو البني أو العنابي.

• الحلي التقليدية:

ومن أهم ظواهر التعبير التقليدي الشعبي للمجتمعات أيضاً، نجد الصناعات التقليدية، والتي تعتبر جزءاً مهماً في الحياة الثقافية الفنية المادية ضمن تراث المجتمعات الشعبية، التي مارسها الإنسان ولا يزال يمارسها كحرفة تقليدية ناتجة عن مهاراته الفنية وقدراته الإبداعية، ومن بين هذه الحرف التي دفعته للمزاوجة بين قابلية الفعل والعمل وتصور الذكاء الخارق من خلال استغلاله الأمثل لخامات البيئة، و بابتكاره لأدوات ساعدته على تقنيات التصنيع التي مكنته من صنع ما تزين به المرأة من حليّ و مصوغات فضية بسيطة، و صغيرة الشكل، مزخرفة ومنقوشة بنقوش هندسية رائعة، وهؤلاء الحرفيون يسمون عند الطوارق بـ " إينّضن" (الحدادون).

يمكن أن نميز الحلي الصحراوية من حيث تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين تتمثلان في:

• مجموعة تخص جبال الصحراء الوسطى (الهقار، تاسيلي ناجر)، وترتبط هذه الصناعة بالتقاليد المتعلقة بصناعة الحلي و الجواهر الخاصة بالطوارق، ويستعملون فيها تقنيات القولية والحز والدمغ.

• مجموعة تخص منطقة الواحات (القرارة، توات، تديكلت)، وهي ترتبط بنمط الحلي الموريتانية والمغربية، ويستعملون فيها زخارف النافر، لشبكية و الوشي.

ومن بين الحلي التي تنفرد بها المرأة التارقية نذكر مايلي⁵⁰:

- تيرآوت (ترويت): وهي عبارة عن قلادة تارقية عريضة خالصة، توضع في العنق و تتدلى على الصدر، تتكون من ستة مثلثات، خمس منها متصلة بمثلث كبير، تلبس في المناسبات والأعياد، وتعتبر فخر المرأة التارقية منذ القديم، وفيها نوعان:

- تيرآوت تان تشاتشات: وهي عبارة عن حلقة تتكون من ثلاثة مثلثات الواحدة فوق الأخرى، وتنتهي القاعدة بمثلثات صغيرة و رقيقة تشبه في شكلها الأقراط، تعلق على الشعر فوق الأذن، وهي بمثابة تيممة تقي المرأة التارقية من الأرواح الشريرة، ولها دلالة رمزية لعناصر الحياة المهمة: الماء و النار والهواء.

⁵⁰ وسيلة تامزالي، أيزيم و حلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، 2007، ص ص 120-128، بتصرف.

- تِيْرَاوْتْ وان أَرْزُفُ: وهي حلية مستطيلة الشكل، مصنوعة من الفضة الخالصة وأحيانا يدمج معها النحاس، مزينة بأشكال هندسية ، تعلق على الشعر أيضا، و تعتبر كحجاب طارد للأرواح الشريرة والسحر والشعوذة، استعملها الطوارق قديما كنوع من التمايم تعلق كل يوم في رقابهم، وإذا احتوت على آيات قرآنية تتميز عن تيراوت (التميمة)، وهذا النوع يسمى تمقروت، أما الآن فهي من حلي الزينة تلبسها النساء فقط.

- أهَبِقْ (أَحَبِقْ): وهي عبارة عن شكل دائري مزخرف بأشكال كلاسيكية من الفن التارقي، وهي ما يسمى بالأساور، وتغلق هذه الأساور بعمود رقيق يدخل في فوهة توجد نهاية الإسورة وتلبسها النساء المتزوجات فقط.

- إفاقن: وهو سوار من الفضة المقلوبة، مزخرف بأشكال كلاسيكية، يتخذ شكل سوار " تيوكاون " المصنوع من الحجر الأسود الذي كان المحاربون القدماء يلبسونه فوق المرفق ليخففوا به ضحيتهم، وتغلق هذه الأسورة بعمود رقيق يدخل في فوهة توجد بنهايتها.

- تيزبَاتين (أحبيقان أوين أذكار): وهو عبارة عن قرط تارقي يبلغ محيطه 8 سم، لا يلبس في الأذن وإنما يوضع مشدودا إلى الضفائر، له شكل مسطح يحمل رسومات معمولة بالإزميل، ينتهي أحد أطرافه بخيط معدني ملوي على شكل عقدة، بينما يبقى الطرف الآخر منحنيا.

- تيمزَاتين: وهي أقراط مصنوعة من الفضة، دائرية الشكل، أو هي عبارة عن هلاليات متصل بعضها ببعض، أو تكون على شكل دمعة، وتكون مزخرفة بطريقة الدمع ، وتنتهي هذه النوعية من الأقراط بسلك رفيع يدخل في الأذن.

- أسَاوَر وان أسَوِيل: وهو عبارة عن مفتاح خمار، يُلبس مربوطا إلى هذب الخمار(أسويل)، ويُصنع منالنحاس الأحمر والأصفر، وكان في الأصل مفتاحا حقيقيا يستعمل للفتح والغلق، وله ميزة شد الخمار أثناء العواصف الرملية لثقله.

- حُومَيْسَة: وهي عبارة عن قطعة متكونة من خمس مُعِينَات، وفي رأسها مثلث كبير تنحدر منه تلك المعينات⁵¹، مزخرفة بطريقة الحز على حواف المعينات، مع تقنية الحبيبات في الوسط، تعلق بخيط مصنوع من الجلد وتوضع على الرقبة، وفي اعتقادهم أنها تقي من العين والسحر. وهي حلية محمودة عند الطوارق عموما.

- الخواتم: وهي مصنوعة من الفضة المقلوبة، لها أشكال عديدة وتتغير حسب التطور والعصرنة والحداثة، يلبسها الرجال والنساء على السواء، أما من ناحية الشكل، فمهما الدائرية التي يعلوها مخروط، ومنها المحدبة والمقببة.

02- الأعراس والأكلات الشعبية:

• الأعراس:

لحفل الزفاف في المجتمع التارقي - كغيره من المجتمعات الأخرى- عادات وتقاليد خاصة، لها أبعاد ووظائف تُحدد العناصر الثقافية والوظيفية للزواج، وتحمل دلالات ورموز مختلفة، تعكس معالم الثقافة السائدة، و خصوصيتها التاريخية باعتبار أن المجتمع التارقي قد مرّ بعدة مراحل تاريخية متعاقبة، بدء من فترة البداوة والترحال، مروراً بحقبة الاستعمار، فشهدت تقاليد الزواج في الصحراء الكبرى هي الأخرى تغيرات شكلية وضمنية نتيجة الانفتاح والتأثر بالثقافات الأخرى، إلا أن اللافت للانتباه في المجتمع

⁵¹ لهذه القلادة أسطورة قديمة مفادها أنه وفي قديم الزمان كانت هنالك خمس قبائل في نزاع دائم ومستمر لا ينتهي أبداً، وفي أحد الأيام وبعدما طال هذا النزاع، تعاهدت تلك القبائل على الصلح، فصنعوا لأنفسهم هذه القلادة المتكونة من خمس معينات ، وهي شعار يعبر عن تلك القبائل وهي متصلة ببعضها البعض.

التاريخي، أنه لا زال متمسكا ببعض عاداته وتقاليده تمسكا شديدا، في مراسم الخطوبة و الزواج، ولا تتم هذه الرابطة إلا في الحدود التي يرسمها المجتمع وفق المصطلحات والأوضاع التي يقرها، ومن يحاول الخروج عن ذلك، يؤخذ لا محالة بالقصاص العاجل.⁵²

فالأعراس أيضا من التعابير الثقافية التقليدية والشعبية في منطقة الهقار، وهي تمتاز ببعض الخصوصيات نحاول ذكرها⁵³:

أ- الخطوبة:

في القديم كان الوالد هو من يختار الفتاة المناسبة لابنه، ويؤخذ رأي الوالد بعين الاعتبار دون مشاوره الفتاة، فإن حصل القبول، يتم تحديد يوم لحضور والدة الشاب مع خالاته وعماته، حاملات جهاز الخطبة في مندبل معقود يتكون من خمار و تسغنت وخاتم فضة إن وجد، وإلا من حديد، حسب حالة الشاب المادية، ليتم الزواج بعد فترة محددة، فتقيم العروس و زوجها في خيمة نعدّها ام العروس، إذ كان لزاما على الرجل أن يقيم في بيت ام زوجه قرابة السنة، ثم يذهب بها إلى بيت أهله.

أما في الوقت الراهن فقد تغيرت الأمور، بما يوافق العصرنة، فالشاب هو من ينتقي الفتاة، ومن ثم يرسل أباه وأعمامه لطلب يدها من أبيها، ويؤخذ برأها بالقبول أو الرفض، ويتم تحديد يوم للخطبة، وتأتي النسوة حاملات جهاز العروس والهدايا في حقائب وقف مزرکشة، وتتراوح مدة الخطوبة بين العام او العامين، حتى يجهز الشاب سكنا مستقلا له ولزوجه.

ب- العرس:

في القديم، كانت أيام العرس تُحدد حسب الأشهر القمرية، بحيث يكون القمر بدرا كاملا من أجل الإضاءة، ويقام العرس في مكان يتوفر فيه الماء، وتنصب خيمة كبيرة تكفي الجميع قرب أهل العروس، ويدوم الاحتفال ثلاثة أيام فقط. أما في الوقت الحالي فقد تغيرت الأمور، ويدوم احتفال الاعراس قرابة الأسبوع وكأنه مهرجان كبير.

• محريات العرس:

- في اليوم الأول:

يحضر أهل العريس يوم الثلاثاء مساء لبيت العروس حاملين معهم جهاز يسمونه "نهار الدفوع"، وينصبون خيمة كبيرة لاستقبالهم، ويكون الاستقبال برقصات للفتيات و الفتيان تسمى "القيتارة"، أما الجهاز فيكون حسب قدرة الفرد، متكونا من جمل وثلاث كباش و خضر وفواكه ومواد غذائية عامة، و حقيبة بها مستلزمات العروس من الملابس والاحذية ومواد التجميل، والمجوهرات من الذهب والفضة، ويتم عرض كل المستلزمات على النسوة الحاضرات، وبعد الانتهاء يقدم للضيوف "العشوي"، ومن ثم يشربون الشاي، وبعدها تبدأ حفلة الغناء وقرع الطبول والرقص، إلى ما بعد صلاة المغرب، ثم يفترق المجلس، وتقام سهرة رجالية على وقع أنغام القرقابو وقرع الطبول، وتحضر النساء للفرجة فقط، وبعدها يقدم طبق الكسكسي كعشاء لكافة الحضور وينتهي هذا اليوم.

- في اليوم الثاني:

وهو يوم الأربعاء، وفيه تقام حنة العروس، ففي الصباح تجتمع كل الفتيات بالقرب من العروس و يعزف التيندي بأغاني لتوديعها، وعند الانتهاء تقدم لهن وجبة الضحى مع الشاي "الضحوي"، وفي المساء يأتي موكب أهل العريس لوضع الحناء للعروس، فتقوم مساعدة العروس والملقبة بـ "الوزيرة" بإحضارها وإجلاسها وسط الخيمة، حتى تقوم عجوز طاعنة في السن مع مرافقتين لها بوضع الحناء على كفيها ورجليها وهن يرددن:

⁵² مصطفى الخشاب، الاجتماع العائلي، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص 121.

⁵³ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي، من كلية الفنون / جامعة المديّة سنة 2015/2016، بتصرف.

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على النبي محمد
يا علام الغيوب
يا فتاح القلوب

وبعدها تقوم النسوة بالرقص " بقاين " إلى حين تقديم العشاء وشرب الشاي، وتستمر احتفالات هذا اليوم إلى طلوع الفجر.

- في اليوم الثالث:

وهو يوم الخميس، وفيه يتم الزفاف، حيث تقوم النسوة بتحضير الغداء، فيعجنون العجين من أجل خبز التاغلة، ويعدون طبق " الزناتي " ⁵⁴ و طبق " تلبقت " ⁵⁵ من لحم الجمل الذي ذُبح خصيصاً للضيوف، وتقوم الفتيات بتحضير سلطة الخس و إعداد " الملفوف "، أما الشباب فيعدون الشاي.

وعند منتصف النهار يحضر الشيوخ و الإمام المكلف بعقد القران، ويحضر المدعوون أيضاً، فيعقد القران وتتعالى أصوات البارود والزغاريد، وتقدم الوليمة لجميع الحضور. بعدها تحضر المساعدة العروس، فيضعون لها السواك و الكحل في عينها، ويأتي أهل العريس للمباركة، فتقوم الأم أو خالة العريس بوضع عقد الزواج في رقبة العروس، وهو عقد من العقيق وبواسطته يتم التفريق بين المرأة المتزوجة والفتاة العزباء، ولا تنزعه من رقبتها مهما كان السبب، كما يضعون لها أساور من الفضة والذهب. وبعد انصراف الرجال، تأتي النسوة للغداء، وشرب الشاء، وبعد صلاة العصر تقام حفلة خاصة بالنسوة فقط، تسمى بحفلة " أباقين "، وعند الغروب تجلب المساعدة (تاوزيرت) العروس إلى مكان العرس (الخيمة)، وتقوم إمرأتان كبيرتان بظفر شعرها، و يُغَطَّى وجه العروس بمنديل أبيض من الشاش يسمى " تشريبت "، ويبدأن في ظفر سبع جدائل في شعرها، يقال لها " سبع ليات "، وهنّ يرددن

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على النبي محمد
يا علام الغيوب
يا فتاح القلوب

وبعدها تُزَيَّن العروس بمواد طبيعية، فيضعون على وجهها مادة صفراء تدعى " الكركم " أو " أمكرة "، لإعطاء نظرة جميلة للعروس، ثم ترتدي العروس عباءة بيضاء تسمى " أرسوي "، تحتها فستان أبيض اللون، مع خمار أبيض، و رداء أبيض، و ملابس العروس هذه تسمى بـ " الكفن "، وتنتعل العروس حذاء " التنبه " الخاص بالنساء، أبيض اللون مزخرف بزخارف حمراء و خضراء. أما العريس فهو بدوره أيضاً يتزين، بحيث يضع له مساعده (أوزير) الحناء في يديه والكحل في عينيه، ثم يرتدي عباءة بيضاء و سروال أسود، ويتلثم بالشاش الأبيض أو بالأسود، ويضع البرنوس على كتفيه، ويحمل سيفه بيده أو يعلقه، ثم ينطلق موكب العريس وهو يتوسطهم، ويبدأون بقراءة البردة والقصائد، ولا يتوقفون عن التردد حتى يصلون إلى خيمة العروسين، والتي تكون في الغالب بعيدة عن مكان العرس.

وفي المقابل يذهب موكب النساء إلى نفس الخيمة، وهن يرددن قصائد خاصة بالنساء، تحمل وصايا للعريس كي يعتني بعروسها ويتحمل المسؤولية بشكل لائق.

⁵⁴ طبق الزناتي يصنع من الكبد مع اللحم والشحم.

⁵⁵ طبق تلبقت: يطهى اللحم في الماء والثوم ثم يدق في مهراس من خشب.

و عند الوصول، تدخل العروس برجلها اليمنى، ثم تضع علامة X قرب المدخل، ونفس الشيء بالنسبة للعريس، وبعد انعزالهما تذهب النساء لسهرات التيندي أو البارود مع الرجال.

- في اليوم الرابع:

وهو يوم الجمعة، ويسمى بيوم " الشامية "، حيث تذهب المساعدة (تاوزيرت) إلى البستان، وتقطع الحشائش، تُجهز العروس وتضع النساء فوق رأسها رداءً كبيراً ليحميها، ويصعد العريس فوق السطح ليرمي على رداء العروس الحشيش مع بعض النقود، فتلتقط النسوة الحشيش وتعطيه للنعاج، ويقال: إن أكلت الماعز من الحشيش فإن العروس تحمل بسرعة ولا تبطن، أما النقود فيلتقطها الأطفال لشراء الحلوى، وفي المساء تحضر فرقة التاكوبا، حتى المغرب، لتحضر بعدها فرقة " إصاره "، ويسهرون مع " الجاقمي " حتى الصباح.

- في اليوم الخامس:

وهو يوم الخروج، أي تخرج العروس دون وضع النقاب، وتظفر شعرها وتزين بأعلى ما عندها من حليّ وزينة، وترتدي لباساً جميلاً يسمى " الجوالي "، وتذهب في موكب إلى بيت والديها اللذين لم يراها منذ بداية العرس، فتستقبلها الوالدة بالتمر والحليب، وتبقى عندها للغداء، فتأتي صديقاتها لرؤيتها، فيقدمن لها الهدايا والتبريكات، وفي المساء تذهب العروس في موكب إلى بيت زوجها وتتعشى هناك، فتدور حولها الفتيات يرقصن ويغنين فرحاً بها، ثم تقاح لها حفلة أخيرة تسمى " الموسيقى "، ويأخذ الزوج زوجته إلى البيت.

- في اليوم السادس:

تذهب الفتيات لمساعدة العروس في ترتيب منزلها الجديد، ويقوم أهل العروس بتحضير وليمة اسمها " الكرامة "، وهي عادة يقوم بها أهل العروس تكريماً لأهل العريس داخل البيت الجديد للعروس، ويقرؤون الفاتحة، ويدعون لهم بالحياة المديدة والذرية الصالحة، ثم يتفرق الجميع وينتهي العرس.⁵⁶

• الأكلات الشعبية:

أنّ المأكولات الشعبية هي صنف من أصناف الطعام التي يستعملها العامة من الناس أكثر من غيرها، وخاصة في المناسبات والاحتفالات، وتقتصر عند الطوارق على ما تنتجه الأرض ومن لحوم المواشي وألبانها. يتميز المطبخ التارقي بسميزات بسيطة، حتى تفننت المرأة التارقية ومن مكونات بسيطة في إعدادها، ومن بين أهم الأكلات الشعبية في المنطقة:

- الخبز: وهو غذاء مهم في حياة سكان المنطقة، إذ يرافق الرعاة أثناء رعي المواشي، قياًكلونه مع شربة حليب، فيسد جوعهم طوال فترة الرعي، ومن أنواع الخبز في مجتمع الطوارق:

• تاجلة (الكسرة أو خبز التراب): وهو من أشهى وأطيب المخبوزات عندهم، يصنع من الدقيق الخشن والماء والملح، ويكون رطباً. تترك العجينة مدة من الزمن لترتاح، ولغاية ذلك، يتم تحضير المرق المصاحب للخبز، والمتكون من اللحم والخضروات والتوابل الخاصة بالمنطقة، وتركها تنضج، ثم الرجوع للعجين، وتجهيز مكان خبزه. وذلك بإشعال النار حتى تصير جمرًا، ومن ثم نزع الجمر وترك الرمال ساخنة جداً، وهذه الطريقة تُدعى " أباتول"، فيُقام بسكب العجين فوق الرمال الساخنة ودفنها بالجرم، وتترك

⁵⁶ أنظر أيضاً عادات الزفاف عند الصحراويين في مقال:

السالك محمد مولود، عادات حفل الزفاف في المجتمع الصحراوي، مقال الكتروني منشور بتاريخ 15 يوليو 2015، على الموقع:

<https://machahid24.com/etudes/70669.html>

مدة من الزمن حتى تنضج، وبعد النضج يُنفض منها الجمر و تنقى ثم تكسر إلى قطع صغيرة، وتوضع في صحن التقديم، ويُصبّ فوقها المرق وتُقدّم.

- **التونقالة:** وهي نوع من أنواع الخبز، يتم طهيها في مقلاة خاصة أو طاجين خاص "بالكسرة"، تشبه "التاجلة"، إلا أنها أقل سمكا منها، وأكثر سمكا من "الفُتات"، ويؤكل في الفترة الصباحية مع الحليب والشاي.
- **الفُتات أو الرُقاق:** وهي شبيهة بالشخوشوخة البسكوية، ولكنها تختلف من ناحية الإعداد والطهو.
- **الراضي:** وهو نوع من أنواع الخبز، يكون سُمكه أقل من "التونقالة"، بحجم صغير كحجم راحة الكف، ويؤكل مع الشاي أو بدونه.

- **إيسان:** أو ما يسمى بلحم النار، ويُطهى على طريقة "خبز تاجلة"، حيث يُتبّل اللحم بالثوم و الفلفل الأسود والملح، ثم يُدفن في الرمال الساخنة، ويوضع الجمر فوقها إلى أن ينضج.

- **الملفوف:** ويُحضّر خاصة في عيد الأضحى و الأعراس، ولا يمكن لأيّ عائلة من الهقار الاستغناء عنه، وهو عبارة عن كبد الغنم مقطّع إلى مربعات، ملفوف في الشحم، ثم تُشكّ في سفود خاص بالشوي، ثم تطهى على الجمر. أما بالنسبة للمشروبات، فسلطان المائدة هو الشاي، الذي يكون حاضرا في تجمعات السمر لأهالي المنطقة، ويتمّ إعداده على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وفيها يتم وضع ورق الشاي الجاف في إبريق خاص، ثم يتم غسله بالماء مرة، ويضاف إليه ماء مغلى بحسب الأفراد الجالسين. يُوضع على الجمر نصف ساعة حتى يغلي جيدا، فيتزع الإبريق من على المجرم، ويصقّى في إبريق آخر ويضاف للشاي السكر، لتبدأ عملية الخلط لحين ظهور الرغوة، وكلما زاد الخلط، زادت النكهة، وبعد الخلط، توضع الرغوة في الكؤوس ويصب الشاي، ويكون هذا الكأس الأول للشاي مرّا وذو نكهة قوية.

المرحلة الثانية: أثناء احتساء كأس الشاي الأول، يوضع الإبريق الأول على الجمر مرة أخرى، بعد إضافة كمية من الماء إليه، ويترك مدة زمنية أقل من الأولى حتى يغلي، ويصقّى بنفس الطريقة الأولى، مع إضافة النعناع إليه، فيكون الكأس الثاني أقل مرورة وأحلى من الكأس الأول.

المرحلة الثالثة: يوضع الإبريق للمرة الثالثة على المجرم، ليمتّ تحضير الكأس الثالثة، بنفس الخطوات السابقة، وهذه الكأس تكون أخف لون أقل مرارة، وبه تنتهي جلسات الشاي التي يقوم بها سكان المنطقة.

- **لغجيرة (لكيلة):** وهو خليط من التمر واللبن المجفف.

- **البشنة:** وهي مشروب لذيذ مُشبع من الذرى الخضراء.

03- الرقص الشعبي والألعاب الشعبية:

• **الرقص الشعبي:**

يعتبر الرقص الشعبي مظهر من مظاهر التعبير الصادق عن انفعالات الفرد، بحيث أنه يتنفس من خلاله، فهو عبارة عن صرخة فنية أطلقها المبدعون من أوساط الشعب و احتضنتها الجماعة بطريقة جماعية وتناقلتها جيلا بعد جيل، و يتم التعبير في الرقص بالحركات، وهي عبارة عن تعابير جسدية غالبا ما تكون هادفة، وتعالج موضوعات اجتماعية أو تاريخية، ومن أهم الرقصات الشعبية التي تميزها المجتمع التارقي⁵⁷:

⁵⁷ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي، من كلية الفنون / جامعة المدينة سنة 2015/2016، بتصرف.

- رقصة التاكوبا: وهي رقصة حربية تؤدى بالأسلحة والسيوف، حيث تبدأ الرقصة بتقدم فريقين إلى ساحة العرض، فيبدأون بالرقص، عن طريق القتال بالسيوف والألواح، وبحركات استعراضية في غاية الدقة والاحترافية، ومن بعدها تتحول إلى رقصة أخرى، يتحلون فيها عن سيوفهم، ليمثلوا مشهد قصة تاريخية تحكي عن الزرع والحصاد وللصوص بطريقة استعراضية غنائية مع ألحان متنوعة.

- رقصة الجاقمي (تنزغرت): وتعتبر هذه الرقصة عن حقبة زمنية قاسية مر بها الطوارق، وهي رقصة متوارثة عبر الأجيال، حيث تقوم النساء بالغناء، ويرقص الرجال من المساء حتى بزوغ الفجر، وهذا لنسيان الامهم وقسوة المعيشة التي يعيشونها، اما في الوقت الراهن، فإنها تقام في الأعراس والأعياد.

- رقصة نهيقالت: وهي رقصة تعبر عن الشكر أ والعرفان بالجميل، خاصة إذا كان الصيد وفيرا أو الخير كثيرا، فيقومون بحركات بهلوانية متتابعة متناغمة مع الأغاني التي تغنيها النساء.

- رقصة البارود والطبل: وهما رقصتان دخيلتان على المنطقة، وجاءت نتيجة احتكاك سكان تديكلت بسكان الهقار، فصارت من الرقصات الشعبية لمنطقة الهقار، وهي تقوم على مجموعة من الرجال يلبسون عباءات بيضاء ويحملون مسدسات و رشاشات، فيقومون بالدوران في حلقة مفرغة واسعة، ويرددون أغاني جماعية، وعند الانتهاء يقومون بإطلاق البارود في وقت واحد وبطريقة منسجمة، وباستعمال آلات موسيقية مثل الدربوكة، والزقار، وطبل كبير يضرب عليه بعود خشبي.

- رقصة القرقابو أو الديراني: وهي رقصة مأخوذة من أصول أفريقية تُغنى بكلمات غير مفهومة، وسميت الرقصة نسبة لألة القرقابو، حيث تقف الفرقة في صف واحد ممسكين بألة القرقابو، ويبدأون بالتصفيق بها على نحو منتظم مع وجود الدربوكة، ويقومون بهذه الرقصة في المناسبات والأفراح وفي جني المحاصيل.

ويصاحب هذه الرقصات مجموعة من الآلات الموسيقية المصنوعة في الصحراء وأهمها:

- الإمزاد: ويسمى عرب ليبيا " القميري"، وهي تشبه الربابة العربية أو الكمنجة الغربية. وهي آلة نسوية بامتياز محرم على الرجل لمسها، للإعتقاد السائد قديما، لو أن الرجل عزف عليها، فإن مكروها سيصيب القبيلة⁵⁸.

- تزامت: وهي عبارة عن قسبة صغيرة بها أربع ثقوب يعزف بها الرجال، وهي أشبه بالناي، غير أنها تصدر أصواتا قوية خاصة بالطوارق، ويعزفون ألحانها في ليالي السمر.

- التيندي: وهي آلة إيقاعية، عبارة عن مهراس مربوط على فوهته جلد الأغنام، وتضرب النساء عليه في الاحتفالات، تثبت بجانبه خشبتين بالتوازي، وتجلس النسوة على الجهتين لضمان الشد بالتوازي، وأثناء الإيقاع عليه، تقوم امرأة ثالثة بسكب الماء عليه لضمان بقاء صوت الإيقاع، ولكي لا تتعب يد المرأتان اللتان تقومان بالضرب عليه، وهي آلة خاصة بالنساء.

• الألعاب الشعبية:

تعتبر الألعاب الشعبية⁵⁹ وسيلة هامة لتجديد نشاط الجسد، وإثارة الذهن وإعادة التوازن النفسي للفرد، فضلا عن وظائفه التربوية بالنسبة للأطفال والصبية ودورها في عمليات التطبيع الاجتماعي.

ومن بين هذه الألعاب نجد:

- أكراض: وهي لعبة تتشكل من مربعات، يلعبها شخص أو شخصان أو أكثر مقابل نفس العدد.

⁵⁸ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 99.

⁵⁹ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي، من كلية الفنون / جامعة المدينة سنة 2015/2016، بتصرف.

- تيداس: وهي لعبة مشابهة للعبة الضامة المشهورة، وتتشكل من مربعات متقابلة إما ستة مقابل ستة، أو اثنتا عشر أو أكثر حسب اتفاق اللاعبين، وتختلف فيها أشكال الحجارة أو العيدان المستعملة، وبين المربعات المستعملة تبقى واحدة خالية لأنها من تتيح للاعبين بداية اللعب مجدداً.

- بكرورو: وهي لعبة تعتمد على نواة بعض الفواكه، كالمشمش، والغالب عند الطوارق استعمال ابعار الابل الجافة، وتلعب هذه اللعبة في الأغلب من طرف النساء، ويعتمدونها في الليالي المقمرة في الصحراء، ويتشكل لاعبوها من فريقين، شخص مقابل شخص، أو اثنان فأكثر مقابل نفس عدد الأشخاص.

- تيسغين: وهي لعبة العيدان الملونة، وغالبا ما تلعبها النساء، واحدة مقابل واحدة أو اثنان فما فوق مقابل العدد الموجود في الفريق، و تصنع تلك العيدان من جريد النخل أو من شجر الطلح، ثم تلون بلونين مختلفين، و بطول 12 سم لكل عود، تعتمد على الذهن والتفكير، فتقوم كل امرأة برمي العيدان في السماء باستعمال أسماء خاصة و عبارات تخص هذه اللعبة، فعندما تسقط على الخلفي تسمى " ستة" وعندما تسقط لثلاثة للأمام و واحدة للخلف تسمى " ثلاث" و عندما تسجل المرأة، تقدم الدور لزميلتها في اللعبة.

- المغوسية (الغميضة): وهي لعبة الاختباء المعروفة، وتلعب من طرف الأطفال وهي من الألعاب المفضلة عندهم.

- تابيلانت: وهي لعبة المصارعة، فتقوم اللعبة على قدرة أحد المتصارعين بإسقاط خصمه أرضاً، و يكتفي اللاعب بإسقاطه أرضاً ليكون هو الفائز.

- تيكناين: وهي لعبة العرائس أو الدمى، تصنع من الأخشاب و تغطى ببعض القماش، وتحشى بصوف الخراف، بحيث تظهر ملامح الدمية، ويتم طرزها بالابرة والخيط.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث، نخلص إلى أن كل أشكال التعابير الثقافية التقليدية والشعبية في منطقة الهقار، كانت الثقافة من أهم أدوات الجماعة الشعبية فيها، حيث سعت إلى أن تكون النمط السائد في المجتمع، فهذه الجماعة الشعبية لها ميكانيزمات دفاعها التي توفرت عليها خلال صراع طويل مع واقع محدد، وهذا الصراع الطويل هو المحور الأساس الذي أكسبها سمات الجماعة الشعبية بالمقومات الخاصة التي تميز الجماعة الشعبية، ومن خلالها وصلنا السجل الحافل بالمواقف والخبرات والتجارب التي مرت على أفراد هذا المجتمع، لنطلع عليه و لنزداد ثقافة عن تعابير وعادات وتقاليد المجتمع الصحراوي الجزائري.